# " العلامة الشيخ المفيد فى ضوء تطور عصره "

دكتـور
**محمـد أحمد محمـد**
**أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد**
**بجامعتى أسيوط وقطـر**

## نظرة عامة حول التطور الحضارى فى الشرق زمن البويهيين :

شهد المشرق الإسلامى إبان العصر البويهى نهضة ثقافية عمـت أرجاءه المترامية بدافع من التطورات السياسية والاقتصادية التى ميزت طبيعة ذلك العصر عما كان سائداً من قبل خلال قرن سابق ، ذلـك أن العصر البويهى يعد علامة بارزة على سقوط الهيمنة التركية التى أسهمت فى اضمحلال سلطان الخلافة العباسية ، وصنع التجزئة السياسية فـى الدولة الإسلامية ، كما أن ظهور الديالمة إذ ذاك لم يعد مقصوراً عـلى ديارهم الأصلية فى طبرستان والرى ، إنما تجاوزوا هذا الموطن ليمتـد نفوذهم بزعامة بنى بويه على ايران والخلافة العباسية .

وتشكل الهيمنة البويهية دوراً بالغ الأهمية فى تطور الحيـاة السياسية والاقتصادية فى عالم الشرق الإسلامى ، فتحكمها كقوة سياسية وعسكرية مكنها من السيطرة على الطرق ومنافذ التجارة الآسـيوية ، ونجاحها فى فرض السيادة على معظم أرجاء الشرق جعلها تقر بمبـدأ مسالمة الآخر وموادعته ممن يخضعون لأدارتهم وأقروا بالتعايش فى ظل حكمهم ، رغبة فى إشاعة الاستقرار والحيلولة دون ظهور فئات المعارضة فى كافة هذه الأرجاء التى خضعت للتقسيم بين أبناء بويه ، عمـاد الدولة فى فارس وركن الدولة بأصبهان والرى وهمدان ، ومعز الدولـة فى العراق[1] ، وكانت الإدارة فى هذه الولايات لا تنعزل أبدا عـن المركز فى العراق الذى سرعان ما تحول إلى شاهنشاهية احياءً لرسوم الشرق القديمة[2] .

واستوعب البويهيون الظروف التى واكبت قيام دولتهم فشجعوا

التجارة فى عالم الشرق ، وحاكوا فى ذلك السامانيين الذين اتسعت دولتهم بفضل النشاط التجارى(٣) ، ووادعوا الغزنويين من بعد ذلك لما كان لهم من هيمنة على تجارة الشرق مما جعل المشرق الإسلامى يرتبط بالصين أعظم ارتباط بعد أن قاسى من أثر فقد مكانته فى كانتون من قبل .

كما أهتم البويهيون بأمر الأرض ، ونشطوا فى عمارتها فأصلحوا الرى ، وتخلصوا بعد معز الدولة من سيطرة الأتراك الذين حازوا الأراضى ، كما ضيقوا على العصبية المؤسسة "الديلم"(٤) ، ليحولوا دون ظهور ما يعكر من صفو ذلك المناخ الصحى الذى يدعو إلى الاستقرار .

واستخدم البويهيون العامة فى حراسة الثغور ليشغلوهم عن إثارة الفتن ، ففى سنة ٣٦١ هـ أرسل بختيار إلى الحاجب سبكتكين يأمره باستنفار العامة لجهاد الروم ، ففعل ، ( فاجتمع من العامة عدد كبير لا يحصون كثرة )(٥) ، كما شغل البويهيون العامة - أيضا - بحراسة الطرق والقوافل ، ودأبوا على اشاعة نشر العمران فى بغداد(٦) .

وليس غريبا أن يسعى البويهيون إلى الاستعانة برجال على قدر كبير من العلم والثقافة ليعاونوهم فى مجال الحكم لما لمسوه فى هذه الفئة من استنارة وتمايز يساير طبيعة عصرهم ، مما يسر عليهم إدارة الدولة فى شتى المجالات ، الأمر الذى يعكس لنا ما حفل به ذلك العصر من تقدم عمرانى وثقافى وعلمى(٧) .

وعلى الرغم من حرص البويهيون على المذهب الشيعى أبقوا على الخلافة العباسية السنية مما كان له أكبر الأثر فى الدعوة إلى التهدئة وإفساح المجال لطوائف المجتمع فى بغداد للمشاركة فى مضمار الحضارة .

ولسنا بصدد الحديث عن الأسباب التى دفعت بالبويهيين إلى الابقاء على الخلافة السنية ، ويمكن القول أن هذه السياسة انطوت على رغبة أكيدة من جانبهم لتحقيق المصالح المشتركة التى من ورائها يمكن

الوصول إلى جذب كافة طوائف المعارضة إلى سيادتهم ، ولا تخلو هذه من فائدة فى بناء الحضارة ، فلم يكن غريبا - على سبيل المثال - أن يفشل السنة الحنابلة فى تعقب الشيعة على الرغم من استهوائهم للعامة فى بغداد (٨)، وأن تحدث المصاهرة بين العباسيين السنيين والبويهيين الشيعة ، وأن تعطى امارة الحج للعلويين .

ومن الطبيعى أن تشهد بغداد زمن بنى بويه انطلاقة شيعية لم يكن لها مثيل من قبل ، فبعد أن كانوا يعانون آلام الاضطهاد فى عهد نفوذ الأتراك ، تمتعوا بالطمأنينة والحماية فى عهد البويهيين الذين دفعتهم أصولهم وانتماءاتهم الفارسية إلى الأخذ بالتشيع والدعوة إليه فى وقت كانت تروج فيه تعاليم الشيعة فى الشرق الإسلامى .

ولعل من أهم ما أعان الشيعة على تبوأ تلك المكانة فى تلك الآونة تحمس عدد كبير من حكام الشرق لمذهبهم (٩)، ومما ينهض دليلا على هذا التنامى الذى شهده المذهب الشيعى فى الشرق نهضته الثقافية فى عصر واحد فى ظل كل من السامانيين لفترات والقرامطة والبويهيين والفاطميين ، وأسهمت هذه الظروف فى تنشيط رموز الشيعة من العلماء والفقهاء ، لخدمة الحركة العلمية والثقافية فى الشرق بصفة عامة وبغداد المركز بصفة خاصة ، بل أن التشيع كان يعنى به فى الغرب من قبل الفاطميين بعد أن أثبت الدعاة نجاحا كبيراً فى مجال الدعوة إلى المذهب الاسماعيلى (١٠)، ثم جاء الزبريون ليسهموا فى سيادة هذا المذهب ، كما أن التشيع كان له دوره - إذ ذاك - فى الاندلس مقترنا بذلك الرواج الكبير الذى شهده العالم الإسلامى شرقه وغربه فى مجال النهضة الاقتصادية التى تعكس بطبيعة الحال تقدما علميا راج فيه دعاة الشيعة .

على أن التمايز الذى حفل به الشرق فى مجال التشيع لم يجن ثماره إلا بجهود بنى بويه الذين لم يضعوا أهمية لضرورة الوحدة المذهبية فى داخل المذهب الواحد تحقيقا لمطالبهم السياسية ، فأعانوا وهم زيدية فى عهد أبى كاليجار (٤٣٥-٤٤٠ هـ ) ، داعى

الفاطميين الاسماعيليين المؤيد هبة الله الشيرازى فى ترويج دعوته بفارس (١١)، ولم يصطدموا مع الفاطميين برغم ميولهم التوسعية إلا حينما اصطدمت مصالحهما ، فتحالفوا مع القرامطة الاسماعيليين وبرضا من الخليفة العباسى ، مزينين لهم أمر الخروج عليهم فيما بين ( سنة ٣٥٩ هـ - سنة ٣٦٧ هـ )(١٢)، كما أنهم لم ينازعوا القرامطة إلا حينما أزمعوا المسير إلى العراق ودخلوا بغداد سنة ٣٧٥ هـ بعد أن قبض صعصام الدولة على نائبهم فى بغداد (١٣) مما ينهض تأكيداً على أن ميول بنى بوية الشيعية تدعو إلى نصرة المذهب الشيعى على اختلاف طوائفه على أن لا يتعارض ذلك ومصالحهم السياسية .

يتضح لنا مما تقدم أن عصر بنى بويه يمثل نهضة اقتصادية وعمرانية واكبها انطلاقة علمية كانت سبيلا لأن يشارك الشيعة فيها بدور كبير إلى جانب علماء السنة وغيرهم من علماء الفرق ليحدث التنافس بين الشرائح العلمية فى بغداد فى ظل خلفاء السنة وسلاطين الشيعة .

الحق أن السعى نحو تهدئة النزاع بين الطوائف الدينية فى بغداد كان من أهم العوامل التى أخذت حظا كبيرا من عناية العباسيين ، فلم يغفل الخليفة الراضى قبيل دخول بنى بويه بغداد خطورة هذه النزاعات ، خصوصا تلك التى دارت بين السنة والشيعة ، لما كان لها من أثر فى ايقاع الفتن بحاضرة الدولة ، وكان من جهوده فى هذا المجال تضييقه على الحنابلة الذين أثاروا الشغب مع الشيعة ، فمنعهم من الاجتماع فى مكان واحد ، وأخرج توقيعا بكتاب بين فيه أخطاء الحنابلة ، وتوعدهم بالعقاب حتى بلغ به الأمر أن ( أتهمهم بالطعن على خيار الأمة ، وبنسبة شيعة أهل بيت رسول اللّه صلى اللّه وسلم إلى الكفر ، وارصادهم بالمكاره فى الطرقات والمحال ، وانكار زيارة قبور الأئمة ، والتشنيع على زوارها بالابتداع ... )(١٤).

على أن دخول بنى بويه بغداد ألهب حماس الشيعة وجعل الدعوة إلى التشيع تأخذ قدراً من الاهتمام بحيث لا ينال منها أزمة أو فتنة ، ذلك أنه فى عهد معز الدولة البويهى شهدت بغداد سنة

٣٤٩ هـ أزمة على أثر هروب النازحين إليها من الموصل لشدة الغلاء الذى وقع بها ، واقترنت تلك الأزمة بحدوث فتنة عظيمة بين العامة ، وكان أن ترتب على ذلك تعطيل المساجد إلى حد حال دون آداء أهل بغداد صلاة الجمعة بمساجدهم لاتصال الفتنة بالجانبين الشيعى والسنى ، غير أن الاهتمام الشيعى الكبير كان من شأنه أن يجعل فى بغداد مسجداً واحدا من مساجد الشيعة وهو مسجد براثا حيث أُقيمت فيه صلاة الجمعة (١٥) .

وشجع معز الدولة البويهى الشيعة فى العراق على الاحتفال بأعيادهم ، فأمرهم بأن يتخذوا مظاهر الحزن لاحياء يوم عاشوراء (١٦) وأن يقيموا الاحتفال بعيد غدير خم بما ينطوى على الفرح والسرور (١٧).

ومما يجدر اعتباره أن سلاطين بنى بويه الأوائل كانوا يدركون أن بغداد حاضرة الخلافة كانت تستوعب كافة الشرائح من أهل المذاهب ، وكانوا بإزاء هذه الظروف أكثر حرصا للحيلولة دون حدوث - أى تصادم بين زعماء هذه الطوائف - من شأنه أنه يمس أمن واستقرار بغداد ، لذا لم يكن من قبيل الصدفة أن يظل الشيعة فى بغداد فى أماكنهم حول سوق الكرخ (١٨) حتى نهاية حكم عضد الدولة ، ولم يتجاوزوا إلى ما وراء ذلك حيث كان يقيم الهاشميون من أنصار بنى العباس فى الجهات الغربية لاسيما حول ما يعرف بباب البصرة (١٩) .

ولا يخفى علينا دور الكرخ الذى كان يموج بالسلع وحركة البيع (٢٠) وتأثيره الفعال فى استنارة ساكنيه من الشيعة مما قلل بطبيعة الحال من حدة التوتر فى علاقتهم بالآخر من الحنابلة - وبالذات - فى ظل سلاطين عظام من بنى بويه عُنوا بأمر بغداد واستقرارها ، وإذا كان العامل التجارى قد أفسح المجال إلى التهدئة بين الطوائف فإنه من باب أولى أن يكون الامامية ساكنى الكرخ أكثر الراغبين فى هذه التهدئة (٢١) .

وكان عضد الدولة البويهى فى بغداد (٣٦٧ - ٣٧٢ هـ ) من

بنى بويه بأحوال الشيعة ، وساعده على ذلك مكانته المرموقة فى حاضرة الخلافة العباسية ، فقيل أنه أول من خوطب بالملك فى الإسلام ، وأنه كان يخطب له على المنابر بشاهنشاه الأعظم ملك الملوك (٢٢) ، مما دعا إلى أن تشهد بغداد فى عهده حالة من الازدهار الملموس فى شتى المجالات ، ومن بينها النهضة العلمية التى انطوت فى عهده على جانب كبير من التقدم .

وأفاد الشيعة كثيراً من جهود عضد الدولة البويهى ، فقد أعاد إليهم بناء مشهد الحسين بن على (٢٣) ، وعمر مساجدهم (٢٤) ، وأصلح لهم الطريق من العراق إلى مكة وأطلق الصلات لأهل الضعفاء بمشهدى على والحسين ( رضى اللّه عنهما ) ، وأجرى الجرايات على كافة المشتغلين بالعلم من الفقهاء والمتكلمين (٢٥) وغيرهم وكان ينتمى إليهم عدد من علماء الشيعة .

وكان شغف عضد الدولة البويهى بالعلوم ، فضلا عن كونه عالما من علماء الأدب وملازما للشعر وأهله ومحبا للنحو والطب ، والتاريخ باذلا أمواله فى هذا المنحى (٢٦) من العوامل التى أسهمت بقدر كبير فى تنشيط الحركة العلمية ، وليس أدل على تلك النهضة من هذا الحشد الهائل من فنون المعارف التى نشرها عضد الدولة فى الشرق ، ونذكر على سبيل المثال خزانة الكتب التى أنشأها فى شيراز لنفسه ، والتى قيل فى شأنها أنه ما من كتاب صنف إلا حوته (٢٧) ، بل أن ابن الجوزى (٢٨) يؤكد على أن امتداد هذه النهضة فى بغداد ظلت إلى ما بعد عهد عضد الدولة .

وشهد الكرخ الذى كان مقرا للشيعة فى بغداد نهضة علمية فى عهد عضد الدولة ، وامتدت هذه النهضة إلى عصر لاحق ، ففى سنة ٣٨٣هـ اتخذ أبو نصر سابور ابن اردشير وزير بنى بويه داراً للعلم فى الكرخ ونقل إليها كتبا كثيرة استحضرها وأجرى لها الفهارس واسند النظر عليها إلى الشريفين أبى الحسين محمد بن الحسين بن أبى شيبة وأبى عبد الله محمد بن أحمد الحسن (٢٩) .

وإذا أضفنا إلى أهمية دور العلم بالكرخ فى دفع رموز الشيعة

للاسهام فى هذه النهضة العلمية إلى ما كان للكرخ من ثراء ورواج مالى من وراء التجارة ندرك مدى ما كانت تحفل به مواطن الشيعة فى عصر بنى بويه بعامة وعهد عضد الدولة بخاصة من مناخ صحى أفسح المجال لثراء روحى تاق إليه الشيعيون كثيرا منذ فترة طويلة الأجل قد مضت .

وأهم ما يقابلنا فى بغداد فى عهد عضد الدولة ملتقى العلماء والفقهاء على اختلاف انتماءاتهم المذهبية فى ساحة واحدة بما ينطوى على التنافس والرغبة فى احياء العلوم بدافع من تلك اللياقة العقلية التى ميزت طبيعة ذلك العصر ، فانطلق كل فريق فى هذا الميدان يظهر جانبا من أطره وأصوله الثقافية مما أوجد فى بغداد حركة إبداعية لا تظهر لها حينئذ فى مجال الثقافة العلمية والدينية .

والأمر الجدير بالاعتبار فى هذا السبيل أن هناك وفاقا بين الشيعة والمعتزلة كان واضحا فى بغداد فى عهد عضد الدولة ، ذلك أنه على الرغم من تشيعه ، فإنه كان ( يعمل على حسب مذهب المعتزلة ) ، لما للشيعة من حاجة إلى مذهب كلامى لخلو مذهبهم من آثاره فى القرن الرابع الهجرى ، وعرف عن الشيعة بأنهم ورثة المعتزلة ، وقيل أن قلة اهتمام المعتزلة بالأخبار المأثورة من الأمور التى لاءمت أغراض الشيعة (٣٠) ، كما أن بنى بويه بوصفهم شيعة زيدية يوافقون المعتزلة باستثناء آرائهم فى الامامة ، وأوجدت هذه الظروف علاقة وثيقة بين الشيعة والمعتزلة ، وحرص العباسيون والبويهيون على العمل بسياسة التهدئة بعد عضد الدولة بدليل أن الخليفة القادر العباسى كان يحرص على أن تبقى العلاقة بين هاتين الطائفتين على هذا النحو ، وأصدر سنة ٤٠٨ هـ تعليماته لفقهاء المعتزلة بعدم الكلام ، ونهاهم عن التدريس والمناظرة فى الاعتزال ومذهب الشيعة والمقالات المخالفة للإسلام (٣١) ، ثم أخذ خطوطهم بذلك ، وتوعدهم بالتنكيل ان لم يمتثلوا (٣٢) ، وظلت هذه السياسة قائمة إلى أن ضعف سلطان بنى بويه ، ودخل الاتراك بغداد ، وأضروا بالشيعة .

على أن البويهيين من بعد عضد الدولة أخفقوا إلى حد كبير فى اتباع سياسة التهدئة بين الطوائف فى بغداد على أثر الضعف الذى ألم بهم من جراء النزاع بين امراء بنى بويه والذى اقترن بنزاع آخر لا يقل وطأة بين الاتراك والديلم أسهم هؤلاء الأمراء فى تصعيده على نحو ما حدث من نزاع بين شرف الدولة وصمصام الدولة على السلطة فى بغداد ، وانقسام الأتراك والديلم بشأن هذا النزاع ما بين مؤيد ومعارض (٣٣) ، والتنافس الذى وقع بين شرف الدولة وعمه فخر الدولة والذى انتهى بوفاة الأول سنة ٣٧٩ هـ بعد مرور سنتين وثمانية أشهر من توليه السلطة فى بغداد وما كان من عجز بهاء الدولة عن تصفية الفتنة بين الاتراك والديلم (٣٤) ، واستمر ذلك النزاع قائما حتى انتهى بغلبة العنصر التركى فى وقت فقد فيه البويهيون قدرتهم على مواجهة الضعف الاقتصادى وسطوة العيارين فى بغداد .

لم ينعم الشيعة بالاستقرار بعد عضد الدولة إلا فى أوقات قصيرة الأجل ، ولم تفلح كل المحاولات التى أبداها البويهيون لاصلاح ما أفسده الضعف العام فى الكيان البويهى بحالة الهدوء التى تنفسها الشيعة والسنة على حد سواء من قبل ، وسرعان ما صارت الفتن بين العلويين والعباسيين أكثر ضراوة عن ذى قبل فى نهاية القرن الرابع الهجرى ، واقترن ذلك كله باضطراب شديد أحدثه العيارون والاتراك ، وكان ذلك كله مدعاة لحدوث أزمة عاشها الشيعة فى بغداد (٣٥) .

وتناول ابن الأثير احوال الدولة البويهية وتبدل سياستها زمن سلاطينها الأواخر ، فوصف بغداد فى احداث سنة ٤٢٦ هـ بقوله (٣٦) ( وعظم أمر العيارين ، وصاروا يأخذون الأموال ليلا ، والسلطان عاجز عن قهرهم - يعنى السلطان جلال الدولة - ... ) .

## التطور الحضارى والشيخ المفيد (النشأة والمكانة وصلته بالدولة ) :

ينتسب العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان الملقب ( بالمفيد ) إلى عكبرا (٣٧) من أعمال بغداد ، فولد بها فى ذى القعدة

سنة ٣٣٦ هـ أو سنة ٣٣٨ هـ على الارجح[٣٨]، وكان يسود هذه القرية أيام البويهيين طابع الزهد ، واستطاب أهلها حياة إسلامية خالصة[٣٩]، وكان مسجدها مدارا لحياة ساكنيها[٤٠]، الذين كانوا يتلقون العلم الأولى على معلمى هذه القرية ، ثم يهرعون إلى بغداد لينهلوا من علم فقهائها وعلمائها ، فى وقت راجت فيه العلوم والثقافات مواكبة لذلك التقدم الاقتصادى الهائل الذى أسلفنا الإشارة إليه .

وكان محمد بن النعمان يشتغل بالعلم بواسط[٤١] ثم انتقل إلى عكبرا مصطحبا ابنه محمد بن محمد بن النعمان سرعان ما ظهرت عليه علامات النجابة ، وصار شابا يافعا ينتقل مع أبيه بين بغداد وعكبرا ، وكان لتأثير أبيه عليه فى هذا المجال كبيراً حتى خاطبه الناس بابن المعلم نسبة إلى أبيه الذى كان يشتغل بالعلم فى واسط[٤٢] .

وكان طبيعيا أن يستوعب محمد بن محمد بن النعمان طبيعة العصر الذى عاش فيه ، وأن ينحدر تحدوه آماله وميوله العلمية إلى بغداد ليرتاد دور العلم ، وينهل من مشايخها ، فبدأ بقراءة العلم بها على أبى عبد الله المعروف بالجعل[٤٣] (ت ٣٣٩ هـ)، ثم قرأ من بعد ذلك على أبى ياسر غلام أبى الجيس[٤٤] الذى لم ير غضاضة من أن يرشده ليغترف من علم على بن عيسى الرمانى أشهر علماء الكلام إذ ذاك ، فعول محمد بن محمد بن النعمان طريقه إليه ليدرس علم الكلام ، فحضر مجلسه ، وهناك أظهر براعة واقتدارا فى الحوار العلمى الذى كان يسود حلقات المتكلمين من الدارسين ، ثم تردد على مجلس العلم الذى كان يقيمه شيخ المعتزلة حينئذ القاضى عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمدانى الآسد أبادى (ت ٤١٥هـ)[٤٥]، وكان كثيرا ما يشارك فى مجالسه فقهاء الشيعة وعلماء الكلام ، بتشجيع من البويهيين ، ومما قيل أن محمد بن محمد بن النعمان كان يحظى باهتمام شيخ المعتزلة هذا ، فكان لا يعارضه إذا ما دعت الضرورة إلى تدخله بالرد عليه فى حضور جلساته ، وأورد الطباطبائى رواية مفادها أن محمد بن محمد بن النعمان حضر مجلسا علميا لشيخ المعتزلة القاضى

علم الكلام - بين الشيعة والمعتزلة ، وقد لقيت تسمية "المفيد" بطبيعة الحال رواجا ، وذاعت بين رجال الفرق حتى سمع بها عضد الدولة البويهى (٤٩) .

ولما كان عضد الدولة - على نحو ما أسلفنا - من الشيعة الذين يعملون على مذهب المعتزلة ، فقد شجع مثل هذه الحلقات العلمية وسمع من علمائها (٥٠)، وأجزل عليهم عطاءه الموفور (٥١) وحسبنا فى ذلك استحضاره للعلامة محمد بن محمد بن النعمان واكرامه لوفادته فى حضرته ، ومما قيل أنه قد خلع عليه بخلعة سنية ، وامر له بفرس محلى بالزينة ، ووفر له وظيفة تجرى عليه (٥٢).

واجمعت المصادر على أن الشيخ ( المفيد ) محمد بن محمد بن النعمان كان فقيه الشيعة وشيخ الامامية فى زمانة (٥٣) ، وكانت كثرة مناظراته وجدله مع أهل كل مذهب أساسا لتوليه رئاسة متكلمى الشيعة (٥٤) ، وكان على أثر ذلك أن برع فى فقه الامامية حتى صار ( أوحد عصره فى فنونه ) (٥٥) ، فى وقت كان يلقى حظاً كبيراً عند بنى بويه وحكومات الشرق (٥٦)، ومن الثابت أن الشيخ المفيد أفاد كثيراً من ظروف عصره ، وذكر ابن كثير (٥٧) عن الشيخ المفيد ( كانت له وجاهة عند ملوك الاطراف لميل كثير من أهل ذلك إلى التشيع ) ، كما أورد فى شأنه ابن تغرى بردى (٥٨) مانصه ( وكان له منزلة عند بنى بويه وعند ملوك الأطراف ) .

حظى الشيخ المفيد باحترام علماء عصره ، بما فى ذلك هؤلاء الذين عارضوا مذهبه ، وظل على تلك الحال طوال حكم عضد الدولة ، على أن حالة الفوضى التى منيت بها بغداد بعد وفاة هذا الأخير على أثر النزاع حول الحكم البويهى لم يسلم منها الشيخ المفيد ، فقد ألمت به فى نهاية القرن الرابع وأوائل الخامس الهجريين أزمة شديدة تبعا للاضطراب الذى ساد بغداد حينئذ ، ونشير فى هذا السبيل إلى ما أورده ابن الجوزى (٥٩) فى أحداث سنة ٣٩٢ هـ من أن العيارين عاثوا فسادا فى بغداد ، فأخذوا الأموال ، وقتلوا الأنفس ، الأمر الذى جعل بهاء الدولة يبعث عميد جيوشه أبا على ابن أستاذ هرمز إلى بغداد ،

عبد الجبار فى بغداد والقى عليه عدة تساؤلات طالبا الاجابة منه عليها ، ولم ير حرجاً فى محاورته ومناظرته والرد عليه ، وفى ذلك يذكر الطباطبائى ما نصه (٤٦) " قال ... بينما القاضى عبد الجبار ذات يوم فى مجلسه فى بغداد - ومجلسه مملوء من علماء الفريقين (٤٧) - إذ حضر الشيخ (٤٨) وجلس فى صف النعال ثم قال للقاضى : إن لى سؤالا فان أجزت بحضور هؤلاء الأئمة ، فقال له القاضى ، سل ، فقال ، ما تقول فى هذا الخبر الذى ترويه طائفة من الشيعة " من كنت مولاه فعلى مولاه " أهو مُسّلم صحيح عن النبى - صلى اللّه عليه وسلم - يوم الغدير ؟ فقال نعم خبر صحيح ، فقال الشيخ ما المراد بلفظ "المولى" فى الخبر ؟ فقال هو بمعنى أولى ، قال الشيخ فما هذا الخلاف والخصومة بين الشيعة والسنة ؟ فقال القاضى أيها الأخ هذا الخبر رواية وخلافة أبى بكر دراية والعاقل لا يعادل الرواية بالدراية ، فقال الشيخ، فما تقول فى قول النبى - صلى اللّه عليه وسلم - لعلى عليه السلام، ( حربك حربى وسلمك سلمى ) ، قال الشيخ ، الحديث صحيح ، قال فما تقول فى أصحاب الجمل ؟ قال القاضى أيها الأخ انهم تابوا ، فقال الشيخ ، أيها القاضى ، الحرب دراية والتوبة رواية ، وأنت قد قررت - فى حديث الغدير - أن الرواية لا تعارض الدراية ، فبهت القاضى ولم يحر جوابا ، ووضع رأسه ساعة ، ثم رفع رأسه ، وقال من أنت ، فقال له الشيخ ، خادمك محمد بن محمد بن النعمان الحارثى، فقام القاضى من مقامه ، وأخذ بيد الشيخ وأجلسه على مسنده فقال ،أنت ( المفيد حقا ) فتغيرت وجوه علماء المجلس مما فعله القاضى بالشيخ المفيد ، فلما أبصر القاضى ذلك منهم ، قال أيها الفضلاء العلماء أن هذا الرجل ألزمنى ، وأنا عجزت عن جوابه ، فإن كان أحد منكم عنده جواب عما ذكره فليذكره ليقوم الرجل ويرجع إلى مكانه الأول، فلما انفصل عن المجلس شاعت القصة ... ) .

والحق أن العلامة محمد بن محمد بن النعمان ( المفيد ) لم يكن حتى ذلك الوقت الذى انتصر فيه على شيخ المعتزلة قد أظهر ميوله المذهبية ، وإن كان قد أظهر تحمسه إلى العلويين والشيعة برده على شيخ المعتزلة عبد الجبار ، الأمر الذى يكشف مدى الوفاق - فى شأن

علم الكلام - بين الشيعة والمعتزلة ، وقد لقيت تسمية "المفيد" بطبيعة الحال رواجا ، وذاعت بين رجال الفرق حتى سمع بها عضد الدولة البويهى (٤٩) .

ولما كان عضد الدولة - على نحو ما أسلفنا - من الشيعة الذين يعملون على مذهب المعتزلة ، فقد شجع مثل هذه الحلقات العلمية وسمع من علمائها (٥٠) ، وأجزل عليهم عطاءه الموفور (٥١) وحسبنا فى ذلك استحضاره للعلامة محمد بن محمد بن النعمان واكرامه لوفادته فى حضرته ، ومما قيل أنه قد خلع عليه بخلعة سنية ، وأمر له بفرس محلى بالزينة ، ووفر له وظيفة تجرى عليه (٥٢) .

واجمعت المصادر على أن الشيخ (المفيد) محمد بن محمد بن النعمان كان فقيه الشيعة وشيخ الامامية فى زمانة (٥٣) ، وكانت كثرة مناظراته وجدله مع أهل كل مذهب أساسا لتوليه رئاسة متكلمى الشيعة (٥٤) ، وكان على أثر ذلك أن برع فى فقه الامامية حتى صار ( أوحد عصره فى فنونه ) (٥٥) ، فى وقت كان يلقى حظاً كبيراً عند بنى بويه وحكومات الشرق (٥٦) ، ومن الثابت أن الشيخ المفيد أفاد كثيراً من ظروف عصره ، وذكر ابن كثير (٥٧) عن الشيخ المفيد ( كانت له وجاهة عند ملوك الاطراف لميل كثير من أهل ذلك إلى التشيع ) ، كما أورد فى شأنه ابن تغرى بردى (٥٨) ما نصه ( وكان له منزلة عند بنى بويه وعند ملوك الأطراف ) .

حظى الشيخ المفيد باحترام علماء عصره ، بما فى ذلك هؤلاء الذين عارضوا مذهبه ، وظل على تلك الحال طوال حكم عضد الدولة ، على أن حالة الفوضى التى منيت بها بغداد بعد وفاة هذا الأخير على أثر النزاع حول الحكم البويهى لم يسلم منها الشيخ المفيد ، فقد ألمت به فى نهاية القرن الرابع وأوائل الخامس الهجريين أزمة شديدة تبعا للاضطراب الذى ساد بغداد حينئذ ، ونشير فى هذا السبيل إلى ما أورده ابن الجوزى (٥٩) فى أحداث سنة ٣٩٢ هـ من أن العيارين عاثوا فسادا فى بغداد ، فأخذوا الأموال ، وقتلوا الأنفس ، الأمر الذى جعل بهاء الدولة يبعث عميد جيوشه أبا على ابن استاذ هرمز إلى بغداد ،

لينكل بالعناصر المتعارضة فى المدينة دونما تفرقه بين ماهو علوى أو عباسى أو تركى ، وبين ماهو سنى أو شيعى ، وكان أن أقبل على الشيخ المفيد ( ابن المعلم ) وأمر بنفيه إلى خارج المدينة ، مما أوجد حنقا لدى الشيعة والعامة ببغداد ويصف ابن الجوزى مكانة الشيخ المفيد فى بغداد وسخط الناس على قائد بهاء الدولة بقوله ( وقامت هيبته )(٦٠) مما يدل على أن نفيه أثار حنق الشيعة إلى حد حال دون السيطرة على المدينة بغداد .

كان أهل الكرخ فى بغداد قد استبد بهم سياسة عميد الجيوش الغاشمة ، فأعلنوا تذمرهم تجاه هذه السياسة التى أرغمت الشيخ المفيد على ترك أهله وتلاميذه والعامة بالكرخ ، وكان يعيش بينهم (٦١) .

ووالى عميد الجيوش تشدده تجاه أهل الكرخ ، فمنعهم فى العام اللاحق (سنة ٣٩٣ هـ) من احياء احتفالاتهم بيوم عاشوراء صادرا تعليماته بعدم اظهار مظاهر الحزن ، وتعليق المسرح فى الأسواق (٦٢) .

واقترنت هذه الاحداث بفوضى عمت أرجاء بغداد ، فقلت الأسعار وانعدمت الحنطة ، وعجز عميد الجيوش عن تلبية حاجات الناس ، الأمر الذى دعا بهاء الدولة إلى تعديل سياسته تجاه الشيعة ، فأمر بمعاملتهم بما ينطوى على التسامح ، وسمع سنة ٣٩٤ هـ بخروج الحاج برئاسة أبى الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوى (٦٣) ، وكانت أحوال بغداد القاسية قد راجت بلاد الشرق حتى بلغ الأمر بحراس طريق الحاج - وعلى رأسهم الأصيغر المنتفقى - أن امتنعوا عن نهبهم رأفة منهم بهم (٦٤) .

يتضح لنا مما تقدم أن الشيخ المفيد لم ينجو من احداث الفتن التى طرأت على بغداد فى أواخر العصر البويهى والتى كثيرا ما انتهت بنفيه عن المدينة ، ويبدو أن الاستقرار الذى نعم به الشيعة فى عهد الازدهار البويهى مكنهم من الانتشار ، والاستحواذ على المناصب والفوز برضا القائمين على الحكم مما ضايق أهل السنة الذين كانوا

يمثلون الأكثرية العددية فى انحاء بغداد حتى إذا ما وقعت الفتن إذ بها تعود بالخسارة على الشيعةوفقيههم الأكبر الشيخ المفيد.

والظاهر من اشارات المصادر أن هذا الفقيه الكبير لم ينعم بالاستقرار فى تلك الفترة الحالكة من عصر بنى بويه ، ذلك أنه لم يكن يهنأ بالعودة من منفاه إلا وتعرض للنفى مرة أخرى بدليل ما ألم به على أثر مناوأة الجند فى بغداد لسلطان الدولة (٦٥) (٤٠٣ هـ ٤١١ هـ ) ، ورغبتهم فى تولية أخيه شرف الدولة السلطنة البويهية بها ، ذلك أن هذه الأحداث قد أوجدت سنة ٤٠٩ هـ الفتنة فى بغداد ، حيث عاث العيارون فساداً ووقعت الوحشة بين العباسيين والعلويين (٦٦) ، وانتهى الأمر بأن نفى ابن سهلان (٦٧) جماعة من العباسيين والشيخ المفيد إلى خارج بغداد - بعد عودته إليها من منفاه بخمس عشرة سنة تقريبا - وأمر بالقبض على العيارين ، ففر منه أكثرهم .

ولسنا نعرف الأسباب التى دعت ابن سهلان إلى اخراج الشيخ المفيد من بغداد ، وربما يكون قد الجأه إلى ذلك ارتيابه من ثورة الديالمة الذين اعانوا أبا الفوارس ( قوام الدولة ) على حرب سلطان الدولة من قبل ، وظنه من أن أبا عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بوصفه فقيها للشيعة فى مقدوره الاسهام فى تهدئة أهل مذهبه ،الذين ثاروا سنة ٤٠٨ هـ ، وناوئوا السنة ، مما أحدث فتنة تفاقمت بين الطائفتين ، استغلها العيارون ومنعوا عامل الشرطة من دخول الكرخ مما دفع بهذا الأخير إلى احراق الدكاكين بأطرافه (٦٨) وقيل أن ابن سهلان أنزل الديلم أطراف الكرخ ، وباب البصرة ، فأحدثوا اضطراباً لم يعهد له مثيل من قبل (٦٩) .

لم ير الشيخ المفيد بدا من المسير إلى واسط ومعه جماعة من الفارين ، حيث قابل سلطان الدولة البويهى شاكيا من ابن سهلان، فواعده مطمئنا اياه ، ثم جرد عساكره إلى بغداد للقبض على ابن سهلان الذى يمم وجهه شطر البصره مستجيرا بجلال الدولة أخى سلطان الدولة (٧٠) .

باتت هذه الأحداث التى أسلفنا الإشارة إليها أساسا لتعاظم مكانة الشيخ المفيد ، إذ أظهر العلويون بالحجاز تماسكهم به ومؤازرتهم له ، وراسلوه اعترافا بدوره ، وعاش الشيخ المفيد على أثر ذلك أواخر حياته قريبا من أهل الحجاز ، ولدينا رسالتان بعث بهما إليه الشيعة والحجاز ، خاطبوه سنة ٤١٠ هـ فى أولاهما " بالأخ السديد والولى الرشيد والشيخ المفيد "(٧١) وفى ثانيهما سنة ٤١٢ هـ بـ ( بالداعى إلى الحق وكلمة الصدق )(٧٢) .

يتضح لنا مما تقدم أن الشيخ المفيد قد حظى بعناية بنى بويه طوال حياته ، وظفر بمكانة فريدة بين علماء عصره فى بغداد وخارجها ، وأسهم بقدر كبير فى الحد من عسف الولاة الذين - سلكوا سياسة غاشمة ببغداد فى أواخر العصر البويهى - دون أن يعبأ بالمكاره والاضرار التى ألمت به .

## اتجاهات الشيخ المفيد فى مجال العلم :

وجه البويهيون اهتمامهم إلى تشجيع الحركة العلمية فى بغداد ، ومما دفع بهم إلى ذلك حبهم للعلم وأهله ، فضلا عن اشتغالهم به ، وكان أكثرهم دأبا فى هذا المجال عضد الدولة الذى لم يدخر وسعا للتوسعة على العلماء ، ومجالستهم مؤثرا السماع منهم لكافة العلوم النقلية والطبيعية .

ومن الثابت أن العلامة الشيخ المفيد قد عاش خمس سنين ببغداد فى كنف عضد الدولة ، يحظى برعايته ، الأمر الذى يدعونا إلى القول بأن تلك الفترة كانت تمثل بالنسبة له السعادة العلمية ،وأزهى فترات عمره ، برز فيها وهو فى أوج عظمته ، والمصادر التى بين أيدينا لم تشر من قريب أو بعيد إلى ما كان يلقاه من اهتمام البويهيين سوى تلك الاشارات التى تنطوى على قدر كبير من عناية عضد الدولة به ، ويذكر ابن النديم المعاصر فى شأن الشيخ المفيد زمن عضد الدولة ما نصه ( مقدم فى صناعة الكلام على مذاهب أصحابه ، دقيق

الفطنه ، ماضى الخاطر ، شاهدته فرأيته بارعا ... )(٧٣) .

ومن الثابت أن الشيخ المفيد كان غزيرا فى علمه ، وله من الكتب الكثير (٧٤)، والتى بلغت أكثر من مائتى مؤلف (٧٥) وكونه كثير ( التخشع والاكباب على العلم ... )(٧٦) بارعا فى المقالة الأمامية بحيث انتهت إليه رياسة متكلمى الشيعة (٧٧) .

كان للعلامة الشيخ المفيد ( مجلس للنظر )(٧٨) ينعقد بداره بالكرخ بين حين وآخر حيث كان يحضره العلماء على اختلاف مذاهبهم للنظر فى المسائل الخلافية والفقهية والكلامية (٧٩)، وقيل أنه كان يناظر ( كثيراً من أرباب العقائد )(٨٠) .

كما أنشأ الشيخ المفيد مجلسا للعلم ، وفيه كان يقرأ عليه تلاميذه أصول الفقه الشيعى (٨١)، وأسهم بذلك فى صنع جيل من علماء الشيعة ، ومن بين هؤلاء الشريف الرضى (٨٢) والشريف المرتضى (٨٣) والنجاشى (٨٤) وهؤلاء أسهموا بدورهم فى ترقية الحركة العلمية ، إذ لمسوا فى استاذهم الشيخ المفيد النبوغ والتبحر فيما ينطوى على الغزارة والشمول لكافة جوانب علوم الشيعة ، ومما يجدر اعتباره أن الشريف المرتضى ألف كثيرا من التصانيف فى علوم الشيعة أصولا وفروعا (٨٥)، وكان من كثرة جهود الشريفين الرضى والمرتضى فى هذا المجال أن توليا نقابة الطالبين فى بغداد (٨٦) .

وكان الشيخ المفيد يحرص على اختيار النوابغ من طلاب العلم، ويشجعهم على المضى قدما فى طلبه مانحا اياهم ما يقدر عليه من مال وفى ذلك يذكر الذهبى (٨٧) ( كان من أحرص الناس على التعليم يدور على المكاتب وحوانيت الحاكة فيتلمح الصبى الفطن فيستأجره من أبويه ... ) .

وكان من ثقة البويهيين فى الشيخ المفيد أن خصصوا له جامع ( براثا ) فى منطقة الكرخ لوعظه واقامة الصلاة جمعة وجماعة ، ومما قيل أنه كان له من الاتباع ممن يرتادون هذا المسجد ما جعل له معهم ( نوادر وقضايا منشورة ومشهورة ... )(٨٨) .

ومما يحمد للشيخ المفيد حسن سياسته عند توليه لرئاسة متكلمى الشيعة ، إذ سعى إلى الجمع بين الفرقاء من أبناء الشيعة زيدية واسماعيلية وغلاة وعينية ، وأوجد قاسما مشتركا بينهم ، ودعا إلى ترك الغلو ، وفى ذلك يذكر العلامة هبة الدين الشهرستانى (٨٩) مانصه ( قرب قوما من قوم بعد طول ابتعاد ، وألقى الفوارق التافهة توطيدا للألفة ، أخمد نواثر الفتن ، ومحى مآثر المبتدعين ، وقضى على أقطاب الضلالة ، وأخرس شقاقتهم ... ) ، ومما دفع بالشيخ المفيد إلى المضى قدما فى هذا السبيل ما ذكره أبن ابى الطئ (٩٠) عن واسع ثقافته حتى صار الأوحد ( فى جميع فنون العلم ، الأصلين والفقه والاخبار ومعرفة الرجال والتفسير والنحو والشعر ... ) (٩١) .

وكان للمناظرات العلمية التى واجه فيها الشيخ المفيد (أهل كل عقيدة مع العظمة فى الدولة البويهية ) (٩٢) أكبر الأثر فى الارتقاء بدور الشيعة أمام الطوائف الأخرى فى مجال التنافس باستثناء ما كان بين الشيعة والمعتزلة من توافق من حيث العقيدة والمذهب، وكان للشيخ المفيد دوره فى تدعيم ذلك التوافق بين هاتين الطائفتين، فإشتغاله بالجدل والكلام ، وكونه من كبار متكلمى الامامية جعله وماتبعه من تلاميذ على قدر كبير من الاقتراب بعلماء المعتزلة الذين كان لهم الأثر الكبير فى تطور علم الكلام ، وليس من قبيل الصدفة أن أن ينهض علم الكلام فى ذلك الوقت بالذات ليلتقى الشيعة المتكلمون من الامامية والزيدية بالمعتزلة ، ذلك أن البويهيين بوصفهم زيدية كانوا أقوى صلة بالمعتزلة منها بغيرهم من الشيعة ، ومر بنا أن عضد الدولة البويهى كان شيعيا يعمل بمذهب المعتزلة الأمر الذى حال دون ظهور أى خصومة بين الشيعة والمعتزلة ، ولا يخفى علينا أثر هذا الاتجاه الذى شجعه البويهيون فى لجوء الامامية إلى الأخذ بمبدأ الوفاق مع المعتزلة (٩٣) .

على أن الشيخ المفيد بوصفه فقيها كان يجعل الاشتغال بالكلام فى خدمة الفقه ، واصطدم على أثر ذلك بالمعتزلة الذين تحرروا إذ ذاك من آراء الفقهاء (٩٤) ، وكان علماء المعتزلة فى القرن الثالث الهجرى يعالجون مسائل كلامية محضة (٩٥) مما دفع بفقهاء القرن الرابع الهجرى

للرد عليهم ، وكان الشيخ المفيد من فقهاء ذلك القرن ممن تصدوا لهؤلاء الذين تحرروا من الفقه ، ومن أجل ذلك ألف عدة رسائل فى الرد على المعتزلة ، منها على سبيل المثال لا الحصر " الرسالة المقنعة فى رقاق البغداديين من المعتزلة "(٩٥) و "عمدة مختصرة على المعتزلة "(٩٧) .

وكان طبيعيا أن يخصص الشيخ المفيد مؤلفات يعالج فيها ردودا على علماء القرن الثالث الهجرى من ذلك ما كتبه بعنوان " الرد على الجاحظ "(٩٨) (ت ٢٥٥ هـ)، و "الرد على الجبائى"(٩٩) (ت ٣٠٣هـ) الذى كان من أشهر متكلمى المعتزلة فى ذلك العصر (١٠١) .

ولم يغفل الشيخ المفيد التأليف فى المسائل الكلامية ، فكتب " المجالس المحفوظة فى فنون الكلام "(١٠١) و " الكلام فى فنون الخبر المختلف بغير أثر "(١٠٢) .

وكان للشيخ المفيد وقفة مع أهل المذاهب المخالفة للامامية ، فدافع عن مذهبه ، وأظهر صحيح آرائه تصحيحا لما ورد على ألسنة أهل الاعتزال وتفنيداً لما روجوه من آراء فى مسائل الكلام ، كما بين ما يوافق الامامية من سائر الفرق ، وأفرد لذلك كله كتابا سماه " أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات " : واستهل الشيخ المفيد مصنفه هذا بعبارات تؤكد الغرض من تأليفه ، فذكر ما نصه ( فانى بتوفيق اللّه ومشيئته مثبت فى هذا الكتاب ما آمر اثباته من فرق بين الشيعة والمعتزلة وفصل ما بين العدلية من الشيعة ومن ذهب إلى العدل من المعتزلة ، والفرق ما بينهم من بعد ، وما بين الامامية فيما اتفقوا عليه من خلافهم فيه من الأصول ، وذاكر فى أصل ذلك ما اجتبيته أنا من المذاهب المتفرعة فى أصول التوحيد والعدل والقول من اللطيف من الكلام ... )(١٠٣) .

قسم العلامة الشيخ المفيد كتابه " أوائل المقالات " إلى أربعة فصول ، بدأها بفصل عالج فيه " الفرق بين الشيعة والمعتزلة " مبينا معنى التشيع لغة واصطلاحاً ، ومعنى الاعتزال ، واسترعه انتباهنا اعتماده على التفسيرات اللغوية باستناده إلى القرآن الكريم ، وعلى

سبيل المثال لا الحصر عند ايضاحه لمعنى التشيع ، اعتمد على الآية الكريمة : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ (١٠٤) ، وانتهى بذلك إلى أن التشيع في أصل اللغة هو الاتباع على وجه التدين والولاء المتبوع على الاخلاص (١٠٥) ، مركزا على الفرق الواضح بين اللفظ باضافة علامة التعريف ( الشيعة أو التشيع ) بهدف التخصيص إلى من يعتقدون في الامامة ( لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ) من بعد الرسول صلوات اللّه عليه وسلامه ، وبين اللفظ مجردا من آداة التعريف مع اضافة من للتبعيض ، مثل من شيعة بني أمية أو شيعة بني العباس (١٠٦) وهكذا .

وفي الفصل الثاني من أوائل المقالات حدد الشيخ "المفيد" وصفا للشيعة الامامية مبينا أن اللفظة لا تجوز إلا على من دان بوجوب الامامة ووجودها في كل زمان ، ( وأوجب النص الجلي والعصمة والكمال لكل امام ثم حصر الامامة في ولد الحسين بن علي عليهما السلام ، وساقها إلى الرضى علي بن موسى ... ) (١٠٧) ، كما بين في الفصل الثالث ما وقع بين الامامية والمعتزلة من خلاف حول الامامة ، موضحا أن أهل الامامة أخذوا بالقول بوجوب وجود امام في كل زمان ، ويكون بوجوده تمام المصلحة في الدين ، في حين أن المعتزلة وسائر المذاهب الأخرى (١٠٨) اجتمعت على خلاف ذلك ، وجواز ( خلو الازمان الكثيرة من امام موجود ) (١٠٩) ، ولم ينس الشيخ المفيد ذكر الصفات التي تتوافر في الامام ، وما وقع من خلاف بين الامامية وسائر الفرق في هذا الشأن (١١٠) ، كما حدد المسائل الخلافية بين الامامية والمذاهب الأخرى وهي بالتحديد " القول في أن العقل لا ينفك عن سمع ، وأن التكليف لا يصلح إلا بالرسل و " القول في الفرق بين الرسل والأنبياء" و " القول في آباء رسول اللّه ( صلى اللّه عليه وسلم ) وأمه وعمه أبي طالب " و " القول في الرجعة والبدء وتأليف القرآن " و " القول في الشفاعة " و " القول في التوبة وقبولها " و " القول في أصحاب البدع وما يستحقون عليه من الاسماء والأحكام " و " القول في المفاضلة بين الانبياء والملائكة (١١١) ، أما الفصل الرابع والأخير ، فقد أفرده لوصف ما اجتباه من الأصول مشيرا إلى كل مذهب وافقه فيما ذهب إليه من

أهل المقالات (١١٢) .

ويتضح من استعراضنا لاشارات الشيخ المفيد فيما قدمه من شروح عالج بها ما أسلفناه من موضوعات ما كان ينطوى عليه هذا العالم الفقيه من استنارة فى التناول ، فأسلوبه يتميز بالبساطة والهـــدوء فعرض أحكام الأمامية وما خالفها من أحكام عند المعتزلة والمرجئـة والخوارج بما يدعو إلى الحوار والتناظر فى مجال العلم ، ومما لاشـك فيه أن طابع العصر كان من وراء هذا المنهج الذى سلكه الشيخ المفيـد فى تناول قضايا الامامية ، ومناظراته أمام سائر الفرق والمذاهب .

ووضع الشيخ المفيد سفرا فى عقائد شيخه أبى جعفر بن بابويـه يتجلى فيه علمه وبراعته فى التأويل والتفسير ، فنراه فى هذا السفـر يرد على شيخه هذا ببراعة فائقة معتمدا على لياقته العقلية ففـــى رد على شيخه فيما ذهب إليه من تأويل اليد الواردة فى القرآن الكريم اشارة إلى أنها تعنى القوة ، ذهب منحى آخر مبينا وجهـــا آخر وهو أن اليد عبارة عن النعمة مستعينا فى ذلك بالشعر العربى.

**له على أياد لست اكفرهـا  وانما الكفر ألا تشكر النعم**

وانتهى إلى القول بأن قوله تعالى : ﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَـــــا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ** ﴾ (١١٣) انما يراد به ذا النعم .

ونراه يصحح لشيخه أبى جعفر - أيضا - فيما ذهب إليـه من أن أفعال العباد مخلوقه خلق تقدير لا خلق تكوين ، موضحا بأن أفعـــال العباد غير مخلوقه مشيرا إلى أن أبا جعفر اعتمد فى تأويله عـــلى حديث ضعيف غير مرضى الاسناد ثم بين أنه ليس فى لغة العرب مـا يفيد بأن العلم بالشئ هو خلق له ، وانه ليس من الصحيح أن كل مـــن علم شيئا فى الأرض أو فى السماء خالق لهما أو كل من يعرف بنفسه شيئا من صنع اللّه تعالى وقرره فى نفسه وجب أن يكون خـــالقا له (١١٤) . وهكذا أخذ الشيخ المفيد يرد على شيخه على هذا المنـوال فى قضايا عديدة ، نذكر منها " الفرق بين الجبر والتفويض "(١١٥) و " المشيئة والأرادة "(١١٦) و " القضاء والقدر "(١١٧) ومعـــانى

الفطرة والاستطاعة والبدء والعرش[١١٨] .

يتجلى لنا قدرة الشيخ المفيد المعلوماتية ، ونظرته النقدية فيما أورده لنا من مواجهات ابداها تجاه استاذه وشيخه ضمن ما ورد من اشارات فى كتابه " شرح عقائد الصدوق " ، فضلا عن أسلوبه المتميز بالوضوح الخالى من الألفاظ عديمة المعنى ، وعما تكشفه هذه المواجهات من ايجابية تنطوى على جانب كبير من الجرأة والثقافة العلمية والأدبية والدينية ، مما جعله يصحح لشيخه بنفس القدر الذى يواجه به المعتزلة والفرق الأخرى ، وتعكس هذه الخصائص - أيضا - الطابع الذى ساد عصره .

والأمر الجدير بالاعتبار أن العلامة الشيخ المفيد كان يدرك مكانة الأئمة وأثرها فى نفوس الشيعة - على اختلاف مذاهبهم - فى بغداد ومعظم انحاء الشرق حينئذ ، الأمر الذى جعله يفرد لهم سفرا سماه " الارشاد "[١١٩] عالج فيه محاسن آثارهم ، وتاريخهم ( مواليدهم ووفياتهم ) وطرفا من كلاهم ، وقضاياهم ، وقسمه إلى جزءين ، خصص الأول لأعمال ومناقب وأحوال على بن أبى طالب (رضى اللّه عنه ) فقال فى شأنه مستهلا حديثه بابراز خصوصية فكره بوصفه اماميا ( أول أئمة المسلمين وولاة المؤمنين وخلفاء اللّه تعالى فى الدين بعد رسول اللّه الصادق الأمين ... )[١٢٠] ، ثم أفرد عدة فصول شملت الباب الأول من هذا الجزء فى شأن مولده ونسبه وامامته ، وقتله فى اطار مجملى غير شامل لجهوده فى شتى مناحى الحياة[١٢١] ، ونلحظ من اشاراته فى هذا الباب حرصه على إبراز مكانته بين العباسيين مشيرا إلى تعظيم الخليفة هارون الرشيد لفضله ومآثره[١٢٢] ، ومما لا شك فيه أن الذى دعاه إلى ذلك ابراز مكانة آل بيت رسول اللّه ( صلى اللّه عليه وسلم ) عند العباسيين من وطأة الحنابلة الذين ناهضوا الشيعة فى أيامه ، ويضيق من ذلك اللون الشاسع الذى فرق بين الشيعة والسنة الأمر الذى يتفق وطبيعة عصره .

أما الباب الثانى من كتاب الارشاد : فقد تناول الشيخ المفيد طرفا من أخبار على بن أبى طالب ( رضى اللّه عنه ) ، من ذلك أنه

أبرز فضل علمه على عدة فصول[١٢٣] مستخدما الاسناد للدلالة على صحة ما أخذ به ، ويظهر فى أسلوبه قدرته على التفسير ، والتأويل وبراعته فى الاعتماد على الحديث لطرح قضايا تهم مذهبه ساعده على ذلك علمه فى الفقه ومسائل الكلام ، فقد توصل بأن محبة (أمير المؤمنين) على بن أبى طالب علم على الايمان وبغضه علم على النفاق ، من خلال حديث أورده عن أبى بكر محمد بن عمر عن محمد بن سهل بن الحسن عن أحمد بن عمر الدهقان عن محمد بن كثير بن إسماعيل بن مسلم عن الأعمش عن عدى بن ثابت عن زر بن حبيش قال ( رأيت أمير المؤمنين على بن أبى طالب على المنبر فسمعته يقول ، والذى خلق الجنة ، وبرأ النسمة إنه لعهد النبى صلى اللّه عليه وسلم إلى أنه لا يحبك إلا يبغضك إلا منافق )[١٢٤] .

ومن ذلك - أيضا - ما أورده فى شأن جهود على بن أبى طالب ( رضى اللّه عنه ) فى ساحات الجهاد ، بقوله ( فأما مناقبه الفنية ... لشهرتها وتواتر الثقل بها ، واجماع العلماء عليها عن ايراد أسانيد الأخبار بها ، فهى كثيرة يطول بشرحها الكتاب ، وفى رسمنا منها طرفا كفاية عن ايراد جميعها فى الغرض الذى وضعنا له هذا الكتاب ... )[١٢٥] .

وتظهر أهمية الكتابة عند العلامة الشيخ المفيد فيما أقبل عليه من جمع اشارات عالج بها قضية الجهاد فى حياة على بن أبى طالب (رضى اللّه عنه ) ، مرتبا تلك الاشارات على فصول ، عالج فى كل فصل موضوعاً بذاته ، ثم اجمل فضائله الجهادية فى صورة مجملية شاملة فى نهاية كل موضوع ، الأمر الذى ينهض دليلا على تقدم فن الكتابة ، وفق ما يقضى به التطور العلمى الذى شهده القرن الرابع الهجرى ، ولنضرب مثلا بغزوة بدر ، فقد خصص لها فصلين ١٨ ، ١٩ ، ذكر فيهما تلك الجهود الموفقة التى أثبتها فى القتال ضمن حديثه عن الغزوة جملة وتفصيلا ثم أفرد الفصل العشرين مركزا فيه الحديث عن خصوصياته التى تمايز بها على سائل أقرانه من الصحابة حينئذ[١٢٦] ، واتبع نفس الطريقة عند حديثه عن فتح مكة ، إذ تناول احداثها فى أربعة فصول ٣٢، ٣٣، ٣٤،

٣٥[١٢٧] ، وجعل الفصل ٣٦ لذكر النتائج التى كان ينشدها من وراء عرضه فى الفصول السابقة ، وحسبنا فى ذلك قوله فى الفصل ٣٦ (وفيما ذكرناه من أعمال أمير المؤمنين ... فى قتل من قبل من اعداء اللّه بمكة ، واخافة من أخاف ومعونة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم على تطهير المسجد من الأصنام ، وشدة بأسه فى اللّه ، وقطع الأرحام فى طاعة اللّه عز وجل دليل على تخصصه من الفضل بما لم يكن لأحد منهم سهم فيه حسب ما قدمناه )[١٢٨] ويخدم هذا الأسلوب فى الكتابة الفكر عند الامامية بقدر ما يعكس التطور فى المعالجة عند الكتاب الذى ينطوى على تقسيم أساسه وحدة الموضوع وفق التسلسل المنطقى فى كتابة التاريخ فيما يمثل ذروة التطور فى الكتابة عند المؤرخين القدماء، وهكذا انهى بابه الثانى من الارشاد بذكر مختصرات من قضايا على بن أبى طالب ( رضى اللّه عنه ) خلال خلافة كل من أبى بكر وعمر وعثمان ( رضى اللّه عنهم )[١٢٩] بعد ذكره لمآثره خلال البعثة النبوية .

أما الباب الثالث والأخير من الارشاد فقد خصصه العلامة الشيخ المفيد لعرض مختصر من أقوال على بن أبى طالب ( رضى اللّه عنه ) فى وجوب المعرفة باللّه تعالى والتوحيد له ، ونفى التشبيه عنه والوصف لعدله وصنوف الحكمة[١٣٠] .

وكان اهتمام العلامة الشيخ المفيد بالتاريخ ينطوى على الرغبة فى ابراز الجوانب المضيئة من حياة الشيعة وبالذات - الامامية - فى صدر الاسلام وعصر بنى العباس ، مواجها بذلك منافسيه من الخوارج والحنابلة الذين اشتدوا فى معارضة الشيعة فى الكرخ ، مما اضطر الخلفاء العباسيين إلى منعهم ، وهكذا ألف كتابه الاختصاص ،وأظهر فيه أصحاب الأئمة[١٣١] ، ثم بين مكانة الصحابة ممن كانوا يحبون على بن أبى طالب ( رضى اللّه عنه ) كأبى ذر الغفارى[١٣٢] والمقداد بن الأسود[١٣٣] وسلمان الفارسى[١٣٤] - رضى اللّه عنهم - ، أو جهودهم فى مجال العلم ، كما عنى باظهار موقف البعض منهم فى مجال السياسة والحكم ، على نحو ما أوضحه من اشارات عن محمد بن أبى بكر وتأييده لعلى[١٣٥] ( رضى اللّه عنه ) .

ويظهر من الاشارات الواردة فى كتاب الاختصاص حرص الشيخ المفيد على معالجة قضايا سياسية بالاعتماد على مسائل فقهية بوصفه فقيها ومواجها بذلك منافسيه من المعتزلة الذين تحرروا من الفقه فى ذلك الوقت ، ولنضرب مثلا بما ذكره عن الخليفة المأمون من أنه كان يعتد بالفقه ويثق فيمن يحمله برغم من ميوله إلى الأخذ بمذهب المعتزلة (١٣٦) ، وحديثه فى شأن المناظرة التى أظهر فيها الامام موسى الكاظم بالفقه فى مواجهة أبى حنيفة النعمان (١٣٧) ، وكان العلامة الشيخ المفيد يحقق بمنهجه هذا هدفين ، وهما بالتحديد ، ابراز مكانة الامامية ، وأهمية الفقه .

وقد أعطى الشيخ المفيد حظا كبيراً من عنايته للفقه فى وقت كان فيه فقيه الأمامية الأكبر (١٣٨) ، ولم يكن من قبيل الصدفة أن يؤلف من أجل ذلك موسوعته الفقهية المعرفة باسم "المقنعة" ، وقد عرض تلك الموسوعة فى ثمانية أجزاء شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسى المتوفى سنة ٤٦٠ هـ فى سفره الكبير المعروف باسم " تهذيب الأحكام فى شرح المقنعة للشيخ المفيد رضوان اللّه عليه "، ويظهر من استقصائنا لأقسام هذا المؤلف أن الشيخ المفيد لم يترك بابا واحدا من أبواب الفقه إلا وعرضه ، موضحا كافة الجزئيات داخل كل كل باب معبرا عن جهود الأئمة الموفقه فى تطور الفقه وتنشيطه عبر مرحلة زمنية طويلة الأجل ، ولنضرب مثلا بكتاب الجهاد حيث أبرز فضله وأقسامه (١٣٩) ، والمرابطة (١٤٠) واعطاء الامان والدعوة إلى الاسلام (١٤١) ، وقتال المشركين ومن خالف الاسلام ، والغنائم وتقسيمها (١٤٢) وأحكام الاسرى ، وسقوط الجزية عن النساء ومن يؤخذ منهم الجزية ، والسبايا ، وأنواع الأسلحة (١٤٣) ، وغير ذلك ، وخصص صفحات لجهود على بن أبى طالب ( رضى اللّه عنه ) ومسيرته فى هذا المجال (١٤٤) .

وقصارى القول فإن العلامة الشيخ المفيد أفاد كثيرا من التطور الذى شهده عصره فى مجال الحضارة ، فتبوأ مكانة فريدة بين العلماء فى بغداد ، وأبدع فى ترويج علمه فى شتى فنون المعرفة العقيدة التاريخ الفقه ، وخدم مذهبة وكافة المشتغلين بفكره ، واتبع منهجا يعكس ظروف التطور ، واجه به خصومه من أهل المذاهب الأخرى فى مجال التنافس .

## الهوامـــــش

١ - مسكويه : تجارب الأمم ، جـ ٢ ، ص ٨٥ .
٢ - متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ ١،ص٦٠.
٣ - المسعودى : مروج الذهب ، جـ ١ ، ص ٩٦ .
- Bathold : Histoire Des Turcs D'atjsie Centrale, PP. 34 - 35.
٤ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٥٧٦ .
٥ - ابن الاثير : المصدر نفسه ، جـ ٨ ، ص ٦١٩ .
٦ - ابن الاثير : المصدر نفسه ، جـ ٨ ، ص ٧٠٤ .
٧ - حول هذه النهضة أنظر الثعالبى : يتيمة الدهر ، جـ ٢،ص٢١٦، وابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٤٠٧ .
٨ - متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ،جـ١،ص٣٧٩.
٩ - ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٢، ص ١٥و١٦.
١٠ - المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ٧٢-٧٣و٨٣ .
١١ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، جـ٣،ص٢٠٢ .
١٢ - المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ص ١٧٨ .
١٣ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٤٢و٤٣ .
١٤ - متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ،جـ١،ص١٣٤، و ١٣٥ .
١٥ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، جـ١،ص ٥٣٣ .
١٦ - ذكر ابن الجوزى فى المنتظم أنه فى اليوم العاشر من المحـــرم سنة ٣٥٢ هـ اغلقت الاسواق فى بغداد : ( وعطل البيع ، ولـم يذع القصابون ولا طبخ الهراسون ، ولا ترك الناس أن يستقوا الماء ونصبت القباب فى الأسواق ...) وفى ذلك يذكر - أيضـــا - ابن الاثير أن معز الدولة أمر الناس فى العاشر من المحـــرم سنة ٣٥٢ هـ بأن يغلقوا دكاكينهم ويبطلوا الاسواق والبيـــع والشراء ، وان ( يظهروا النياحة ، ويلبسوا قبابا ... ) انظر ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ١٥ - ابن الاثـــير : المصدر نفسه ، جـ ٨ ، ص ٥٤٩ ) .

١٧ - اتخذ الشيعة من اليوم الثامن عشر من ذى الحجة عيدا، معلنين فى شأنه بأنه اليوم الذى عهد فيه النبى صلى اللّه عليه وسلم إلى على بن أبى طالب ( رضى اللّه عنه ) مستخلفا اياه فيه عند عودته من حجة الوداع فى السنة العاشرة للهجرة (انظر المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٣٨٩ ) . وذكر ابن الجوزى أن شيعة بغداد احتفلوا سنة ٣٥٢ هـ بعيد "غدير خم"، فأشعلوا النيران وضربوا الدبادب والبوقات ، فى حين اشار ابن الاثير إلى نفس الاحتفال بقوله ( أمر معز الدولة باظهار الزينة فى البلد ، واشعلت النيران بمجلس الشرطة ، واظهر الفرح وفتحت الاسواق بالليل كما يفعل ليالى الاعياد، فعمل ذلك فرحا بعيد الغدير ... وكان يوما مشهودا ( ابن الاثير: الكامل ، جـ ٨ ، ص ٥٤٩ و ٥٥٠ ) .

١٨ - كانت الكرخ فى العصر البويهى تقع فى وسط بغداد ، حيث كان يدور حولها المحال والدكاكين ( انظر : الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد ، جـ ١ ، ص ٧٦-٧٨ ) ، فى حين غدت فى القرن السابع الهجرى أضعف حالا : إذ حجزها الخراب عما كان حولها من الدكاكين وفى ذلك يذكر ياقوت الحموى ( فأما الآن فهى محلة وحدها مفردة فى وسط الخراب وحولها محال إلا انها غير مختلطة بها ) . انظر : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٤٤٨ .

١٩ - انظر متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ،جـ١، ص ١٣٣ .

٢٠ - حول الأهمية التجارية للكرخ انظر : الخطيب البغدادى:المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ٧٦-٧٨، وياقوت : معجم البلدان ، جـ٤، ص ٤٨٨ ، القزوينى : آثار البلاد واخبار العباد ، ص ٤٤٤ .

٢١ - ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٤٤٨ .

٢٢ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، جـ ٣ ، ص ٤٧و٤٨ .

٢٣ - متز : المرجع نفسه ، جـ ١ ، ص ١٤٠ . وحول عناية عضدالدولة بنشاط الشيعة فى بغداد ، انظر : المقدسى : احسن التقاسيم ، ص ١٢٦ .

٢٤ - ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٧٠٤ .
٢٥ - ابن الاثير : المصدر السابق ، جـ٨ ، ص ٧٠٤ و ٧٠٥ .
٢٦ - ابن الاثير : المصدر نفسه ، جـ ٩ ، ص ٢١ ، ٢٢ .
٢٧ - المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص ٤٤٩ .
٢٨ - المنتظم : الجزء السابع ، ص ١٧٢ .
٢٩ - ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ١ ، ص ١٧٢ .
٣٠ - المقدسى : أحسن التقاسيم ، صفحة ٤٣٩ ، ٤٤٠ . ومتز: الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، جـ ١ ، ص ١٢٤ .
٣١ - ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٢٨٧ .
٣٢ - ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٢٨٧ .
٣٣ - ابن الاثير : المصدر نفسه ، جـ ٩ ، ص ٤٩ .
٣٤ - ابن الاثير : المصدر نفسه ، جـ ٩ ، ص ٦٣ .
٣٥ - ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٢٢٠ .
٣٦ - الكامل فى التاريخ : جـ ٩ ، ص ٤٤٠ ، ٤٤١ .
٣٧ - بضم أوله وسكون ثانيه ، وفتح الباء ، اسم قرية من نواحى دجيل قرب صريفين وأوانا بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، ويقال لم كان ينتسب إليها عكبرى أو عكبراوى ، ويبدو أن كلمة عكبرا ترجع من حيث الأصل إلى السريانية ( ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٤٢ ) .
٣٨ - نأخذ بكلام ابن النديم المعاصر للشيخ المفيد ( الفهرست، ص ٣٧٧ ) . وحول مولده فى عكبرا انظر ( محمد رضا كحاله : معجم المؤلفين ، جـ ١١ ، ص ٣٠٦ ، ٣٠٧ ) .
٣٩ - انظر الاشعار التى نظمها البحترى فى شأن هذه القرية ومنها :

ولما نزلنا عكبراء ولم يكن نبيذ ولا كانت حلالها لنا الخمر

( انظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ١٤٢ ) .
٤٠ - ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ١٤٢ .
٤١ - مدينة بين الكوفة والبصرة من الجانب الغربى ، بناها الحجاج بن يوسف الثقفى فيما بين ٨٤ - ٨٦ هـ ( القزوينى : آثار البلاد واخبار العباد ، ص ٤٧٨ ) . وحول اشتغال محمد بن

النعمان بالعلم انظر ( ابن حجر العسقلانى : لسان الميزان ، جـ ٥ ، ص ٣٦٨ ) .

٤٢ - الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، جـ ٣ ، ص ٢٣١ .

٤٣ - وابن حجر العسقلانى : لسان الميزان ، جـ ٥ ، ص ٣٦٨ .
هو ابو عبد الله الحسين بن على بن ابراهيم المعروف بالكاغيرى، وكان من أهل البصرة ، وتوفى ببغداد سنة ٣٣٩ هـ ( انظر : المقدمة التى استهل بها العلامة الشيخ فضل الله الزنجانى تحقيقه لكتاب الشيخ المفيد المعروف بـ " اوائل المقالات فى المذاهب والمختارات " ص ٢ .

٤٤ - انظر : المصدر السابق والصفحة .

٤٥ - الطباطبائى : كتاب رجال السيد بحر العلوم ، جـ ٣ ، ص٣١٥.

٤٦ - الطباطبائى : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٣١٥و٣١٦ .

٤٧ - يقصد بطبيعة الحال الشيعة والمعتزلة .

٤٨ - يقصد الشيخ محمد بن محمد بن النعمان .

٤٩ - الطباطبائى : المصدر نفسه ، ص ٣١٧ .

٥٠ - ابن الاثير : المصدر نفسه ، جـ ٩ ، ص ٢١ .

٥١ - ابن الاثير : المصدر نفسه ، جـ ٩ ، ص ٢١ .

٥٢ - الطباطبائى : المصدر نفسه ، ص ٣١٧ .

٥٣ - انظر : ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ ٨ ، ص ١١ ، ١٢ - وابن الاثير : المصدر نفسه ، جـ ٩ ، ص ٣٢٩ - أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ، جـ ٢ ، ص ١٤٥ - ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٥و١٦ - وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ،جـ٢، ص ٢٥٨ .

٥٤ - ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٧٧ .

٥٥ - الصفدى : الوافى بالوفيات ، جـ ١ ، ص ١١٦ .

٥٦ - ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٨ ، ص ١١و١٢ .

٥٧ - البداية والنهاية : جـ ٢ ، ص ١٥و١٦ .

٥٨ - النجوم الزاهرة : جـ ٤ ، ص ٢٥٨ .

٥٩ - المنتظم : جـ ٧ ، ص ٢٢٠ .

٦٠ - المصدر السابق والصفحة .
٦١ - الصفدى : المصدر نفسه ، جـ ١ ، ص ١١٦ .
٦٢ - ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ ٧ ، ص ٢٢٢ .
٦٣ - ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ ٧ ، ص ٢٢٧ .
٦٤ - ابن الجوزى ، المصدر نفسه ، جـ ٧ ، ص ٢٢٧ .
٦٥ - حول سلطان الدولة انظر : الذهبى : سير اعلام النبلاء ،جـ١٧، ص ٣٤٥-٣٤٧ .
٦٦ - ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١٠٠٥-١٠٠٦ .
٦٧ - هو أبو محمد الحسن بن سهلان الذى اسند اليه سلطان الدولة ولاية العراق سنة ٤٠٩ هـ ( ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩،صفحة ٣٠٦ - ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ١٠٠٥ ) .
٦٨ - ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ ٧ ، ص ٢٨٧ .
٦٩ - ابن الاثير : المصدر نفسه ، جـ ٩ ، ص ٣٠٧ .
٧٠ - ابن خلدون : المصدر نفسه ، جـ ٤ ، ص ١٠٠٦ .
٧١ - الطباطبائى : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٣١٧ .
٧٢ - الطباطبائى : المصدر نفسه ، جـ ٣ ، ص ٣١٨ .
٧٣ - ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٧٧ .
٧٤ - ابن النديم : المصدر السابق والصفحة .
٧٥ - ابن حجر العسقلانى : لسان الميزان ، جـ ٥ ، ص ٣٦٨ .
ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٩٩-٢٠٠.
واسماعيل البغدادى : هدية العارفين ، ص ٦١و٦٢ .
٧٦ - ابن حجر العسقلانى : لسان الميزان ، جـ ٥ ، ص ٣٦٨ .
٧٧ - ابن النديم : المصدر نفسه ، ص ٣٧٧ .
٧٨ - ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ ٨ ، ص ١١و١٢ .
٧٩ - ابن الجوزى : المصدر السابق ، ص ١١و١٢ .
٨٠ - عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، جـ ١١ ، ص ٣٠٦و٣٠٧.
٨١ - ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ ٤ ، ص ٢٥٨ .
٨٢ - هو ابن محمد بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب أبو الحسن العلوى،

ولد سنة ٣٥٩ هـ ، ولقبه بهاء الدولة بالرضى ذى الحسين، وتولى الشريف الرضى هذا نقابة الطالبيين ببغداد ، ومما قيل عنه أنه قد حفظ القرآن فى مدة يسيرة بعد أن جاوز ثلاثين سنة ، وعرف طرفا قويا من الفقه والفرائض ، وكان عالما فاضلا ، وشاعرا ، توفى سنة ٤٠٦ هـ ( ابن الجوزى : المنتظم ، جـ٧، ص ٢٧٩ - ابن الاثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٢٦١-٢٦٢.

٨٣ - هو على بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ( رضى اللّه عنه ) أخو الشريف الرضى ، ولقبه بهاء الدولة بالمرتضى ذى المجدين ، وكان على مذهب الامامية والاعتزال ، يجيد الشعر وتوفى سنة ٤٣٦ هـ ( ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ٧،ص ٢٧٩ - ابو الفدا : المختصر فى اخبار البشر ، جـ ٢ ، ص١٦٧ وابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ٥٣ .

٨٤ - هو أبو العباس النجاشى المتوفى سنة ٤٥١ هـ صاحب كتاب ( الرجال ) ، انظر مقدمة هبة الدين الشرستانى لكتاب (شرح عقائد الصدوق ) للمؤلف الشيخ المفيد .

٨٥ - ابن كثير : المصدر نفسه ، جـ ١٢ ، ص ٥٣ .

٨٦ - ابن الجوزى : المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ٢٧٩ - ابو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ - القلقشندى:صبح الاعشا ، جـ ١٠ ، ص ٢٤٧ .

متز : المرجع نفسه ، جـ ١ ، ص ٥٠٤ .

وردت لفظة نقيب فى القرآن الكريم (المائدة آية ١٢) والنقيب فى اللغة هو العريف وشاهد القوم . وضمينهم ، والجمع نقباء، واستخدمت اللفظة عند الفاطميين للدلالة على مرتبة فى مجال الدعوة ، فكان لداعى الدعاء الفاطمى اثنا عشر نقيبا ، كما استخدمت أيضا بمعنى رئيس الطائفة أو زعيمها ، وكان غالبا ما تضاف اللفظة إلى إسم الطائفة مثل نقيب الأشراف أو الطالبين أو العلويين ( انظر حس الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، جـ ٣ ، ص ١٢٩٤ - ١٢٩٧،

وكان هناك نقابة للطالبين فى بغداد ، وواسط ، وأخرى فـــــى الكوفة ( ابن الجوزى : المنتظم ، جـ ٧ ، ص ٩٨ ) .

٨٧ - سير أعلام النبلاء ، جـ ١٧ ، ص ٣٤٤ .

٨٨ - هبة الدين الشهر ستانى : مقدمة كتاب " شرح عقائد الصدوق" لمؤلفه الشيخ المفيد .

٨٩ - هبة الدين الشهر ستانى : مقدمة كتاب "شرح عقائد الصدوق".

٩٠ - هو يحيى بن حميدة بن ظافر بن على الغسانى الحلبى الأديـب والمؤرخ والمتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، وله من الكتب " حوادث الزمان فى التاريخ ، وسلك النظام فى التاريخ الشام " و " طبقـــات العلماء " و " تاريخ الإمامية " و " عقود الجواهر فى سيرة الملك الظاهر " و " كنز الموحدين فى سيرة الملك صلاح الدين "و"مختار تاريخ العرب ومعادن الذهب فى الطب" و " مناقب الائمـــة الاثنى عشر ، ( انظر اسماعيل البغدادى : هدية العارفين،جـ٢، ص ٥٢٣ ) .

٩١ - الذهبى : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٧ ، ص ٣٤٤ .

٩٢ - الذهبى : المصدر السابق ، جـ ١٧ ، ص ٣٤٤ .

٩٣ - حول اهتمام عضد الدولة بالاعتزال ، انظر ( المقدسى : أحمـد النفاسيم ، ص ٤٤٩ ) .

وحول خصائص المعتزلة : انظر :

- Nicholson : litrary History of the Arabs, P. 223 - 224.

٩٤ - المقدسى : المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

٩٥ - متز : المرجع نفسه ، جـ ١ ، ص ٣٥١ .

٩٦ - اسماعيل البغدادى : ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون، جـ ١ ، ص ٥٦٩ .

٩٧ - اسماعيل البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٢٤ .

٩٨ - اسماعيل البغدادى : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٥٥٣ .

٩٩ - اسماعيل البغدادى : المصدر السابق والصفحة .

١٠٠- ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٤ ، ص ٢٦٧و٢٦٨ .
١٠١- اسماعيل البغدادى : ايضاح المكنون ، جـ ٢ ، ص ٤٢٩ .
١٠٢- اسماعيل البغدادى : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٧٩ .
١٠٣- محمد بن محمد بن النعمان ( المفيد ) : اوائل المقالات ،ص٣٦ و٣٧ .
١٠٤- القرآن الكريم : سورة القصص ، آية ١٥ .
١٠٥- محمد بن محمد بن النعمان ( المفيد ) : أوائل المقالات ،ص٣٨.
١٠٦- محمد بن محمد بن النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٤ .
١٠٧- محمد بن محمد بن النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٤ .
١٠٨- يقصد بالخوارج والزيدية والمرجئة وممن يأخذون بظواهر الأحاديث والروايات بغير تأويل أو طرح .
١٠٩- محمد بن محمد بن النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٥ .
١١٠- محمد بن محمد بن النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٦و٤٧.
١١١- محمد بن محمد بن النعمان : المصدر السابق ، ص ٤٩و٥١.
١١٢- محمد بن محمد بن النعمان : المصدر السابق ، ص ٥٤-١١٦.
١١٣- القرآن الكريم : سورة ص ، آية ١٧ .
١١٤- محمد بن محمد بن النعمان ( المفيد ) : شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد ، ص ١٨٨ .
١١٥- محمد بن محمد بن النعمان ( المفيد ) : المصدر السابق ،ص١٩٨ -١٩٩ .
١١٦- محمد بن محمد بن النعمان ( المفيد ) : المصدر السابق ،ص٢٠٢ -٢٠٣ .
١١٧- محمد بن محمد بن النعمان ( المفيد ) : المصدر السابق ،ص٢٠٢ -٢٠٧ .
١١٨- محمد بن محمد بن النعمان ( المفيد ) : المصدر السابق ،ص٢٠٧ -٢٢٤ .
١١٩- حاجى خليفة : كشف الظنون ، جـ ١ ، ص ٧١ .
١٢٠- محمد بن محمد بن النعمان : الارشاد ، جـ ١ ، ص ٧ .

١٢١- محمد بن محمد بن النعمان : الارشاد ، جـ ١ ، ص ٢-٢٩.
١٢٢- محمد بن محمد بن النعمان : الارشاد ، جـ ١ ، ص ٢٨-٢٩.
١٢٣- محمد بن محمد بن النعمان : الارشاد ، جـ ١ ، ص ٣٥-٤٠.
١٢٤- محمد بن محمد بن النعمان : الارشاد ، جـ ١ ، ص ٣٧ .
١٢٥- محمد بن محمد بن النعمان : الارشاد ، جـ ١ ، ص ٤٢ .
١٢٦- محمد بن محمد بن النعمان : الارشاد ، جـ ١ ، ص ٦٠-٦٦.
١٢٧- انظر الارشاد ، جـ ١ ، ص ١١٦-١٢٣ .
١٢٨- الارشاد ، جـ ١ ، ص ١٢٣ .
١٢٩- الارشاد ، جـ ١ ، ص ١٨٦ - ٢١٢ .
١٣٠- الارشاد ، جـ ١ ، ص ٢١٣ ، ٣٣٣ .
١٣١- محمد بن محمد بن النعمان : الاختصاص ، ص ٧و٨ .
١٣٢- محمد بن محمد بن النعمان : الاختصاص ، ص ١٣ .
١٣٣- محمد بن محمد بن النعمان : الاختصاص ، ص ٨ .
١٣٤- محمد بن محمد بن النعمان : الاختصاص ، ص ١١-١٣ .
١٣٥- محمد بن محمد بن النعمان : الاختصاص ، ص ١٢٤-١٢٦.
١٣٦- محمد بن محمد بن النعمان : الاختصاص ، ص ٩٨-١٠٠.
١٣٧- محمد بن محمد بن النعمان : الاختصاص ، ص ١٨٩و١٩٠.
١٣٨- ابو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ، جـ ٢ ، ص ١٥٤.
١٣٩- الطوسى : تهذيب الأحكام ، جـ ٦ ، ص ١٢١ - ١٢٤ .
١٤٠- الطوسى : تهذيب الأحكام ، جـ ٦ ، ص ١٢٥ .
١٤١- الطوسى : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٤٠ - ١٤١ .
١٤٢- الطوسى : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٤١ - ١٤٦ .
١٤٣- الطوسى : المصدر السابق ، جـ ٦ ، ص ١٤٦ - ١٦٦ .
١٤٤- الطوسى : المصدر نفسه ، جـ ٦ ، ص ١٥٤ - ١٥٦ .

# المصادر والمراجـع

## أولا : المصادر :

- اسماعيل البغدادى ( عاش فى القرن الهجرى الثالث عشر )
" هدية العارفين " ، " اسماء المؤلفين وآثـــار المصنفين " ، الجزء الثانى ، دار الفكر ، بيـــروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

---

ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنـــــون ، جزءان ١ و ٢ . دار الفكر ، بيروت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

- ابن الاثير ( ت ٦٣٠ هـ )
" الكامل فى التاريخ " جزءان ٨ و ٩ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

- ابن الجوزى ( ت ٥٩٧ هـ )
" المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم "
الجزء السابع حيدر اباد ١٣٥٨ هـ
الجزء الثامن حيدر اباد ١٣٥٩ هـ

- حاجى خليفة ( ت ١٠٦٧ هـ )
" كشوف الظنون عن اسامى الكتب والفنون " ، دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

- ابن حجر العسقلانى ( ت ٨٥٢ هـ )
" لسان الميزان " ، الجزء الخامس ، الطبعـــــة الثانية ، مؤسسة الأعلى ، بيروت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧١ م .

- الخطيب البغدادى ( ت ٤٦٣ هـ )
تاريخ بغداد ، جزءان ١ ، ٣ ، ط دار الكتاب العربى - بيروت .

- ابن خلدون ( ت ٨٠٨ هـ )
" العبر وديوان المبتدأ والخبر " الجزء الثانى ، منشورات دار الكتاب اللبنانى للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ م .

- ابن خلكان ( ت ٦٨١ هـ )
وفيات الاعيان ، الجزء الثالث ، بيروت ، ١٩٧٠ .

- الذهبى ( ت ٧٤٨ هـ )
" سير اعلام النبلاء " الجزء السابع عشر ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقوسوسى - مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

- الصفدى ( ابن أيبك ) ( ت ٧٦٤ هـ )
الوافى بالوفيات ، الجزء الأول ، صادر جمعية المستشرقين الألمانية ، نشر فرانز شتانز ، بيروت ، ١٩٨١ م .

- الطباطبائى ( بحر العلوم ( ت ١٢١٢ هـ )
كتاب " رجال السيد بحر العلوم ، الجزء الثالث ، النجف ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٦ م .

- الطوسى ( أبو جعفر محمد ) ( ت ٤٦٠ هـ )
" تهذيب الاحكام فى شرح المقنة للشيخ المفيد رضوان اللّه عليه " الجزء السادس ، حققه وعلق عليه السيد حسن الموسوى الخرسان ، وعنى بنشره الشيخ على الاخوندى ، دار الكتب الاسلامية ، النجف ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

- ابن العماد الحنبلى ( ت ١٠٨٩ هـ )
" شذرات الذهب فى اخبار من ذهب " ، الجـزء الثالث ، دار المسيرة ، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

- أبو الفدا ( ت ٧٣٢ هـ )
" المختصر فى أخبار البشر " ، الجزء الثانى ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ،

- القزوينى ( ت ٦٢٨ هـ )
" آثار البلاد وأخبار العباد " دار صادر ،بيروت .

- القلقشندى ( ت ٨٢١ هـ )
" صبح الاعشى فى صناعة الانشا " ، الجزء العاشر، نسخة مصورة من المطبعة الاميرية بتصـــويبات واستدراكات ، المؤسسة المصرية العامة للتأليـف والترجمة والنشر ، الهيئة المصرية العامة للكتـاب ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

- ابن كثير ( ت ٧٧٤ هـ )
" البداية والنهاية " ، الجزء الثانى عشر ، الطبعة الثالثة ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

- أبو المحاسن ( ت ٨٧٤ هـ )
" النجوم الزاهرة " ، الجزء الرابع ، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية ، وزارة الثقافة والارشـاد القومى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة .

- محمد بن محمد بن النعمان ( الشيخ المفيد ) ( ت ٤١٣ هـ )
" أوائل المقالات فى المذاهب والمختارات "،قدم له وعلق عليه العلامة الشيخ فضل الله الشهير بشيـخ

الاسلام الزنجانى ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ط ثالثة ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

- محمد بن محمد بن النعمان ( الشيخ المفيد ) ( ت ٤١٣ هـ )
" شرح عقائد الصدوق أو تصحيح الاعتقاد " قدم له وعلق عليه العلامة هبة الدين الشهرستانى، المطبعة الحيدرية ، النجف ، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .

- ــــــــــــ
" الارشاد " ، الجزء الأول ، ترجمة إلى الفارسية محمد باقر ساعدى خرسانى ، طهران ، ١٣٥١ ش .

- ــــــــــــ
" الاختصاص " تصحيح على البرغفارى ، ورتب فهارسه السيد محمود الزرندى اليحرمى ، طهران ١٣٧٩ هـ .

- مسكويه ( ت ٤٢١ هـ )
" تجارب الأمم " ، الجزء الثانى ، القاهرة ، ١٩١٠ م .

- المسعودى ( ت ٣٤٦ هـ )
" مروج الذهب ومعادن الجوهر " الجزء الأول ، ط مصر ، ١٣٤٦ هـ .

- المقدسى ( ت ٣٨٧ هـ )
" أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم " ، ليدن ، ١٩٠٦ م .

- المقريزى ( ت ٨٤٥ هـ )
" اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا " ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٤٨ م .

" المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " ، الجزء الأول ، بولاق ، ١٢٧٠ هـ .

- المقريزى ( ت ٨٤٥ )

" الفهرست " تحقيق دكتور ناهد عباس عثمان ، دار قطرى بن الفجاءة ، الدوحة ، ط أولى، ١٩٨٥م .

- ابن النديم ( ت ٣٨٠ هـ )

" معجم البلدان " ، الجزء الرابع ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧ م .

- ياقوت الحموى ( ت ٦٢٦ هـ )

## ثانيا : المراجع الحديثة :

- حسن إبراهيم حسن

" تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى " ، الجزء الثالث ، القاهرة ،١٩٧٣م .

- حسن الباشا

" الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية "، الجزء الثالث ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

- عمر رضا كحاله

معجم المؤلفين ، الجزء الحادى عشر ،مكتبة المثنى، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

- فضل الله الزنجانى

مقدمة كتاب " اوائل المقالات فى المذاهب والمختارات " للشيخ محمد بن محمد بن النعمان ( المفيد ) النجف ، ١٩٧٣ .

- متز ( آدم )

" الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجـــرى "، نقله إلى العربية محمد عبد الهادى أبو ريـــــده ، المجلد الأول ، بيروت ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

- هبة الدين الشهرستانى

مقدمة كتاب ( شرح عقائد الصدوق ) للشـــــــــيخ محمد بن محمد بن النعمان ، النجف ، ١٩٧٣ م .

## ثالثا : المراجع الأجنبية :

- Barthold (W)

Histoire des Turcs D'Asie Centrale, Paris, 1915.

- Nicholson : ( Reynold )

Literary History of the Arabs (Cambridge) 1930.